السيدة دليلة 1

تبلغ السيدة دليلة من العمر 55 سنة. كانت معلمة سابقا، وهي الآن متقاعدة وتعيش مع زوجها المتقاعد أيضًا. بعد سلسلة من أحداث الحياة الصعبة التي مرت بها خلال السنوات الأخيرة، تشعر السيدة دليلة بالتعب والحزن. تقول إنها فقدت كل دافع للحياة، وتشك باستمرار في نفسها: "كل ما أفعله يبدو لي مستحيلًا، وعلى أي حال، سواء فعلته أم لا، فالأمر سيّان"

تشعر بخيبة أمل من محيطها، إذ تندم لأن لا أحد يبدو قادرًا على فهمها، ولا ترى طريقة للخروج من هذه الحالة. السيدة دليلة هي الصغرى بين طفلين. أخوها البالغ من العمر 58 سنة يعمل طبيبًا، وقد أُصيب في طفولته بمرض التهاب الغضاريف والعظام (Ostéochondrite) ، ما أثّر بشكل مباشر على المريضة، إذ أُرسلت حينها لتعيش عند عمتها لمدة ستة أشهر وهي في الخامسة من عمرها. خاف والداها كثيرًا من فقدان ابنهم، فأصبحا شديدي الاهتمام به.

تبلغ والدتها الآن 88 سنة وتعيش في دار رعاية المسنين. كانت أيضًا معلمة. تصفها المريضة بأنها كانت امرأة نشيطة جدًا لكنها قاسية وعديمة العاطفة تجاهها. كانت تضربها كثيرًا (حتى تظهر الكدمات على جسدي) وأحيانًا تحبسها في العلية كعقوبة. وكانت تكرر لها دائمًا: أنتِ لا تستحقين حتى الحبل الذي تُشنقين به! "

تقول السيدة دليلة إنه بعد مرور الوقت أدركت أنها كانت طفلة معنَّفة، لما كانت عليه تلك الحوادث من عنف شديد.

وتشير إلى أنه خلال طفولتها، كانت تميل إلى مواجهة الحياة بقدر من اللامبالاة والمرح، وهو ما كان يثير غضب والدتها أكثر. وعندما كانت أمها تضربها، كانت الطفلة دليلة تغني كي لا تفكر في الألم.

والدها توفي بسرطان الرئة سنة 1972.
للسيدة دليلة ولدان: ابنة تبلغ من العمر 31 سنة، متزوجة وتعيش بعيدا منذ ثلاث سنوات، وهي تخضع حاليًا لعلاج نفسي بسبب مشاكل في الثقة بالنفس. كان من الصعب على الأم تقبّل رحيل ابنتها بعيدا، إذ كانت قريبة جدًا منها وتفتقد حفيدها كثيرًا. أما ابنها، البالغ من العمر 28 سنة، فهو متزوج ولديه طفل، ويعيش في منطقة نوعا ما قريبة. وتقول والدته عنه: "إنه متزن وكل شيء ينجح معه".

تصف السيدة دليلة نفسها بأنها شخص متفائل، مرح ومحبّ للحياة، لكنها تعترف بأن في داخلها جانبًا مظلمًا، وترى أن وصف «المهرّج الحزين» يعبّر عنها جيدًا. وتعتقد أن هذا الموقف مرتبط بالصعوبات المتراكمة التي مرت بها في حياتها، فاضطرت لتطوير أسلوب لمواجهة الأزمات، وكان «التظاهر بالمرح» إحدى وسائلها.

منذ صغرها، كانت طفلة ذكية ونشيطة، بل ناضجة مبكرًا. تعلمت القراءة في سن الرابعة، وبحلول السادسة كانت تقرأ كتب القواعد اللغوية بانتظام. ومع ذلك، كانت تلك الفترة صعبة عليها، إذ مرض أخوها فشعرت بأنها في المرتبة الثانية بعده، ثم توفيت جدتها لأمها التي كانت تعيش معهم، وأخيرًا أقامت ستة أشهر عند عمتها التي كانت علاقتها بها طيبة.

وعندما عادت من عند عمتها، دخلت والدتها المستشفى لمدة شهر بسبب التهاب الصفاق. ظنت الطفلة أن أمها ماتت، ومرضت بدورها. تم أخذها إلى المستشفى لرؤية والدتها، فلم تتمكن من التعرف عليها بسبب الهزال الشديد الذي أصابها.

في هذا السياق، التحقت بالمدرسة الابتدائية، لكنها شعرت بالملل وفقدت الحافز الدراسي تدريجيًا، حتى انقطعت تمامًا عن الاهتمام بالدراسة. تتحدث السيدة دليلة عن تلك الفترة بعاطفة شديدة، خاصة حين تذكر علاقتها بوالدتها، قائلة:

"طوال حياتي حاولت أن أشتري محبتها، لكنني لم أنجح".

وترى أن والدتها كانت بحاجة إلى علاج نفسي آنذاك بسبب الضغوط التي مرت بها (مرض ابنها، وفاة أمها، العملية الجراحية...)، لكن زوجها لم يكن يقدّم لها الدعم الكافي، رغم أنه كان رجلًا طيبًا ومحبًّا، إلا أنه كان ضعيف الشخصية ولا يمارس أي سلطة.

في سن الخامسة، تعرضت السيدة دليلة لتحرش جنسي من غريب في أحد الحفلات، ثم في السابعة من صديق للعائلة. لم تجرؤ على الحديث عن ذلك لأنها كانت تعتقد أن أحدًا لن يصدقها. عادت هذه الذكريات إلى ذهنها قبل تقاعدها، عندما اكتشفت أن إحدى تلميذاتها تتعرض للتحرش من جدّها. واجهت السيدة دليلة حينها صعوبة كبيرة في الحديث عن الأمر مع والدتها وزوجها، ووجدت نفسها شبه وحيدة في التعامل مع السلطات لمساعدة تلك الطفلة.

شهدت السيدة دليلة خلال السنوات الخمس الأخيرة العديد من الأحداث التي تركت أثرًا كبيرًا في حياتها. ففي عام 1998، كان تقاعدها حدثًا مفصليًا في مسيرتها. في العام نفسه، تزوجت ابنتها وغادرت للعيش بعيدا. وبعد عام، تزوج ابنها بدوره.

لكن لم تكن جميع الأحداث سعيدة. ففي عام 1999، أُدخلت والدتها إلى المستشفى بسبب انسداد رئوي (انصمام رئوي) .ومنذ ذلك الحين، لم تعد قادرة على الاعتناء بنفسها، فتكفّلت السيدة دليلة برعايتها لعدة أشهر. وبالاتفاق مع أخيها، قررا إدخالها إلى دار رعاية المسنين، وهو أمر وجدته الأم صعبًا جدًا في البداية. بعد ذلك، تولّت السيدة دليلة مسؤولية بيع المنزل العائلي.

كما تشير المريضة إلى صعوبات متعلقة بزوجها .ففي عام 1997، تعرّض لسقوط من دراجة نارية أُدخل على إثره إلى المستشفى، ثم أصيب بمرض يُعرف بـ«متلازمة الألم الناحي المركب» (ألغوديستروفية) في ركبته. وفي العام التالي، تم تسريحه من عمله. وبعد فترة بطالة قصيرة، تقاعد سنة 1998 في الوقت نفسه الذي تقاعدت فيه زوجته.

زوجها رجل نشيط جدًا، لا يبقى في المنزل أبدًا، ويشارك باستمرار في مشاريع وأنشطة كبيرة، من دون أن يتيح لزوجته فرصة لإبداء رأيها. تقول السيدة دليلة : "كان يفعل دائمًا ما يشاء. في عطلة نهاية الأسبوع، كان غالبًا غائبًا لممارسة الرياضة أو تسلّق الجبال. أما أنا، فلم أكن أقول شيئًا...".

في نهاية عام 1999، زارت السيدة دليلة ابنتها ، بينما كان زوجها في رحلة استكشافية. وخلال مشاركتهما في بعض جلسات العلاج النفسي المشتركة، أدركت الأم وابنتها أنهما تتشاركان نفس الإحساس بالهجر من قبل الرجال.

وعند عودتها إلى منزلها، رغبت السيدة دليلة في مناقشة هذا الأمر مع زوجها. لكن الأخير سافر مجددًا في مهمة قبل أن يتسنى لهما الحديث. شعرت السيدة دليلة بأن هذا البُعد الجديد يمثل خيانة جديدة لها، فاجتاحها حزن شديد وبكاء متكرر وشعور بالمرارة .وبسبب هذا الاضطراب العاطفي المستمر، وصف لها شقيقها دواء (Fluoxétine)في انتظار عودة زوجها.

انتظرت ستة أسابيع تتخيل خلالها كيف ستصارحه بكل ما في قلبها، وتتهيأ للقائه. لكن عند عودته، فاجأها باعترافه بأنه على علاقة مع امرأة أخرى. تقول السيدة دليلة إنها في تلك اللحظة أدركت مجددًا أنه لا مكان لكلامها ولا لمشاعرها، وأن ما كانت تودّ قوله ذهب أدراج الرياح. أحلامها وتطلعاتها تراجعت إلى الخلف مرة أخرى، وانكسر السيناريو الذي كانت تتخيله.

ومنذ ذلك الحين، تحمل في نفسها غضبًا نحوه "ليس لخيانته، بل لغبائه"، كما تقول. أصبحت ناقمة، سريعة البكاء، حتى لأسباب بسيطة. وكثرت المشاجرات بينها وبينه .وتراودها أفكار مثل:"لا أحد يفهمني، أنا لا أساوي شيئًا".

تشعر السيدة دليلة بالشك المستمر في نفسها وفي قدرتها على مواجهة ما يحدث .وفي نهاية المطاف، تعترف بأن ما أرادت قوله قيل، لكنه خرج بعنف وغضب، مما جعلها تشعر بأنها لم تُسمَع حقًا.

تقول أخيرًا: أود أن أغير حياتي، لكن ما الفائدة من بذل الجهد ما دام لا شيء يسير كما أريد"

الأسئلة

بعد دراستك المعمقة و الهادئة لهذه الحالة ، حاول ان تجيب على الأسئلة التالية:

-ما هي اهم المشكلات التي تعاني منها الحالة؟

-ماهي الأهداف العلاجية التي تقترحها؟

-ماهي الفرضيات التفسيرية لهذه الحالة؟

- اقترح استراتيجية علاجية مناسبة وتقنياتها ؟